



The character in the novel "Raihat Al-Tafaseel" by Suleiman Al-Saddi

Assis. Lecture. Rasha Abdul Sattar Abdul Jabbar Al-Dabbagh
Umm Waraqa Bint Nawfal School

Article Information

Article history:

Received: March 18, 2024

Reviewer: June 9, 2024

Accepted: June 9, 2024

Available online

Abstract

The character is a complex combination of elements that represent the focal point around which the narrative discourse revolves. It is the backbone upon which the narrative relies. The concept of literary work is subject to the concept of action and event, and the character is a new construction undertaken more by the reader than by the text itself. The character in the novel is an important element around which events and narration revolve. It is the idea around which events are woven, serving as the mask that the novelist wears to perform roles in his work. It constitutes an effective element in driving the narrative event, and it is a paper person produced by the novelist to achieve some aesthetic goal. This novel utilizes a system that defines the concepts of character at its multiple levels. The diversity in the character of Azam Al-Abdullah within the narrative structure presents us with several levels to highlight this character from all aspects of life and to move the scene effectively, attracting the recipient through this diversity occurring among the levels of the novel, as the character is a new construction undertaken more by the reader than by the text.

Keywords:

Correspondence:

رواية الشخصية في رواية رائحة التفاصيل

لـ سليمان الصدي

رشا عبد الستار عبد الجبار الدباغ

مديرية تربية نينوى

الملخص

تعد الشخصية هي مجموعة عناصر مركبة مع بعضها البعض فهي تمثل القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي وعموده الفقري الذي يرتكز عليه، ان مفهوم العمل الادبي يخضع لمفهوم الفعل والحدث ان الشخصية هي تركيب جديد يقوم به القارئ اكثر مما هي تركيب يقوم به النص، فرواية الشخصية عنصر مهم تتمحور عليه الاحداث والسردي وهي الفكرة التي تنسج حولها الاحداث فهي ذلك القناع الذي يلبسه الروائي لأداء الأدوار في عمله إذ تشكل عنصراً فعالاً في تحريك الحدث الروائي، وهي إنسان من ورق ينتجه الروائي ليحقق بواسطته هدف جمالياً ما. وقد استخدمت هذه الرواية على وفق نظام يحدد مفاهيم الشخصية بمستوياتها المتعددة، وهذا التنوع في شخصية عزام العبدالله داخل المبنى الحكائي يقدم لنا مستويات عدة لإبراز هذه الشخصية من كافة الجوانب الحياتية، ولتحريك المشهد لينمو بصورة فعالة تعمل على جذب المتلقي من خلال هذا التنوع الحاصل بين مستويات الرواية، لان الشخصية هي تركيب جديد يقوم به القارئ أكثر مما هي تركيب يقوم به النص.

المقدمة:

تعد رواية الشخصية عنصراً مهماً إذ هي الشخصية المركزية التي تتمحور عليها الأحداث والسردي، وهي الفكرة الرئيسية التي تنسج حولها الأحداث، فهي ذلك القناع الذي يلبسه الروائي لأداء الأدوار في عمله إذ تشكل عنصراً فعالاً في تحريك الحدث الروائي، وهي إنسان من ورق ينتجه الروائي ليحقق بواسطته هدف جمالياً ما. ولقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج التكاملي لأنه يقترب من روح التنوع الحاصلة في تحليل النصوص الروائية.

إن من أهم المصادر المعتمدة في هذا البحث:

١. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: إبراهيم عياش.
٢. النقد الأدبي الحديث: د. محمد غنيمي هلال.
٣. الشخصية في رواية (الطريق إلى عدن) لعمر الطالب، بشير إبراهيم أحمد عويد سوادي، رسالة ماجستير.

يتضمن البحث التمهيدي الذي يضم مفهوم رواية الشخصية وتعريف الشخص والرواية وكذلك بعض الآراء العرب والأجانب حول موضوع رواية الشخصية.

ومن ثم المبحث الأول الذي تكلمنا فيه عن المستوى الاجتماعي للشخصية وكيفية تأثير المجتمع براوي الشخصية وكيفية التعامل معها وكيف يتأثر بالفعل والحدث وكيفية اعداد الشخصية مصدر رئيس للظواهر الإنسانية التي تشمل الميول والاستعدادات الجسمية والعقلية والنفسية التي تتفاعل فيما بينها لتحقيق ذاتها والتكيف مع المجتمع. ومن ثم المبحث الثاني الذي يضم المستوى السياسي والعاطفي للشخصية وكيف أن المستوى السياسي في الفكر الإسلامي ليس مستقلاً بذاته بل يقوم على اندغام مستويات أخرى بما فيها الديني - العبادي.

أما المستوى العاطفي للشخصية فهو يتحدث عن كيفية التعامل مع المرأة كونها ملاذ واقعي لا بد من الرجوع إليه.

وقد وصلت الدراسة إلى أن الروائي سليمان الصدي واحد من أهم الروائيين المشتغلين في مجال الرواية وقد استخدمت هذه الرواية على وفق نظام يحدد مفاهيم الشخصية بمستوياتها المتعددة، وهذا التنوع في شخصية عزام العبدالله داخل المبنى الحكائي يقدم لنا مستويات عدة لإبراز هذه الشخصية من كافة الجوانب الحياتية.

إن أهم النتائج الخاصة برواية الشخصية في رواية (رائحة التفاصيل) عند سليمان الصدي: أن الشخصية هي مجموعة عناصر مركبة مع بعضها البعض فهي تمثل القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي وعموده الفقري الذي تركز عليه، أن مفهوم العمل الأدبي يخضع لمفهوم الفعل والحدث ان الشخصية هي تركيب جديد يقوم به القارئ أكثر مما هي تركيب يقوم به النص.

التمهيد:

- مفهوم الشخصية

وردت كلمة شخص في المعاجم العربية بمعان عديدة لكل منها مفهومها الخاص الذي تحتفظ به إذ يدل على ارتفاع في الشيء، وهو سواد الإنسان إذا سما لك من بعد^(١).

والشخص هو كل جسم له ارتفاع وظهور المراد به اثبات الذات وجمعه في القلة (اشخص) وفي الكثرة (شخصاً) و(اشخاصاً) وشخص فهو شاخص يطلق على الكائن الحي^(٢) وبهذا نرى أن كلمة شخص تختلف من منظور لآخر حسب وجهات النظر.

إذن فالشخصية هي نتاج مجموعة من العادات والسلوكيات لدى الفرد، وتنتج بنيتها عن تصور افتراضي تفسيري يستنتج من بعض مظاهرها السلوكية التي تكشف عن تصرفات الشخصية داخل العمل الروائي، التي تتميز بتطورها عبر تطور الزمن^(٣).

وبهذا نستنتج أن هناك ترابط وثيق بين الشخص والشخصية فالأولى تعني الشكل الظاهري والأيولوجية التكوينية أما الثانية فهي لعمق والأساس الذي يعكس على التكوين الخارجي في بناء التفاصيل بكافة جوانبها.

لذا تفرق الشخصية عن الإنسان في كونها من صنعة الفنان^(٤)، تعد الشخصية مصدراً رئيساً للظواهر الإنسانية لأن معظمها من ميول واستعدادات جسمية وعقلية ونفسية تكون تفاعلاً بعضها مع البعض الآخر لتحقيق ذاتيتها الإنسانية ومن ثم أسلوبها الخاص للتكيف مع الحياة^(٥).

ويسعى الروائي دائماً في تكوين شخصية متكاملة في أبسط الإمكانيات المتوفرة وإن كانت هذه الشخصية ثانوية بسيطة فالأصل في تكوين شخصية ناجحة تكون من خلال الترابط والاندماج الحقيقي بين ثناياها. وتمثل الشخصية محوراً تدور حوله الأحداث تؤثر فيها وتتأثر بها وتمثل قيماً وافكاراً يسعى الروائي إلى الكشف عنها وإبراز مواضعها وفعالها بالأحداث الروائية^(٦).

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس احمد بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٨، مادة (شخص): ١/٦٤٥.

(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي (ت ٧١١هـ)، مادة (شخص): ٧/٢٥٤.

(٣) ينظر: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، د. سمير روجي حجازي، دار الآفاق العربية، ط١، القاهرة، ٢٠٠١م: ١٢٤.

(٤) ينظر: دراسات في النقد الأدبي، د. أحمد كمال زكي، الهيئة العربية العامة للطباعة، القاهرة، ١٩٧٢: ٤٢.

(٥) ينظر: الشخصية في ضوء التحليل النفسي، د. فيصل عباس، دار المسيرة، ط١، بيروت، ١٩٨٢: ١١-١٢. الشخصية في قصص علي الفهادي، د. نبهان حسون السعدون، مجلة دراسات موصلية، العدد (٣٠) لسنة ٢٠١٠: ٢.

(٦) ينظر: الشخصية في قصص علي الفهادي، د. نبهان حسون السعدون، مجلة دراسات موصلية، العدد (٣٠) لسنة ٢٠١٠: ٣.

- رواية الشخصية:

فالرواية هي الأحداث التي يقصها الراوي من خلال عرض الأحداث عن طريق شخصيات متعددة تندمج مع بعضها البعض في نقطة رئيسة تعد هي المركز الأساسي في سرد الأحداث الروائية. وتعامل الشخصية في الرواية التقليدية "على أساس أنها كائن حي له وجود فيزيقي، فتوصف ملامحها وقامتها وصورتها وملابسها وهواجسها وآمالها وآمها"^(١).

لهذا تعد رواية الشخصية عنصراً مهماً إذ هي الشخصية المركزية التي تتمحور عليها الأحداث والسرد، وهي الفكرة الرئيسية التي تتسج حولها الأحداث^(٢). ومن هذه الرؤية نصل لقول أن الشخصية كانت وما زالت المحرك الأساسي للعمل الروائي من خلال ما تتسجه من أحداث مؤثرة لها وقع واضح في ابراز أهمية العمل الروائي.

ويرى ارسطو في الشخصية مكوناً ثانوياً من مكونات العمل الأدبي لذا يخضعه خضوعاً لمفهوم الفعل والحدث^(٣) وتكون بهذا المفهوم "الارسطي طبيعة الأحداث هي المتحكمة في رسم الشخصية وإعطائها أبعادها الضرورية والمحتملة"^(٤) وقد نرى أن الشخصية تؤثر في القارئ من خلال ما تقوم به من أفعال انطلاقاً من نقطة البداية لسير الحدث ووصولاً للنقطة الأخيرة التي يتوقف عندها الحدث. وثمة عناية في الدراسات الروائية بحوافز الشخصية لأن الشخصيات حين تقوم بأفعالها تعمل على انشاء علاقات فيما بينها لذا تقوم بإنشاء حوافز تدفعها إلى فعل ما تفعل^(٥) لذلك وجب الاهتمام بهذا العنصر الذي يعتبر الحجر الأساس في تكوين هيكلية الرواية.

والشخصية نظام ينشئه النص تدريجياً على امتداد القراءة، وكلما أضيفت إليها سمات أضحت معقدة من دون أن تفقد هويتها الأصلية^(٦). وقد اختلفت وجهات النظر حول هذه النظرة ويرى (هامون) أن الشخصية "تركيب جديد يقوم به القارئ أكثر مما هي تركيب يقوم به النص"^(٧).

(١) في نظرية الرواية، د. عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة (٢٤٠)، ط١، الكويت، ١٩٩٨: ٨٣.

(٢) ينظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، إبراهيم عياش، دار الكتاب اللبناني، ط١، الدار البيضاء، ١٩٨٥: ١٢٦.

(٣) ينظر: مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، رولان بارت، ترجمة: منذر عياش، مركز الانماء الحضاري للأعمال الكاملة (٣)، ط٢، ٢٠٠٢: ٦٢.

(٤) بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٠: ٢٠٨.

(٥) ينظر: نظريات السرد الحديثة، ولاس مارتين، ترجمة: حياة جاسم، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨: ٩١.

(٦) ينظر: معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون، دار محمد علي للنشر، ط١، تونس، ٢٠١٠: ٢٧١.

(٧) بنية النص السردية، د. حميد الحمداني، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩١: ٥٠.

ويحولها (فلاديمير بروب) إلى أنها نموذج بسيط لم يؤسسه على علم النفس ولكن على وحدة الأفعال التي تهيئها الرواية للشخصيات^(١).

ان للروائي نظرتة الخاصة في رسم مكونات الشخصية من خلال ترتيب الأحداث الملائمة التي تتناسب مكونات هذه الشخصية إذن فهي بمثابة "محور تتجسد المعاني فيه والأفكار التي تحيا بالأشخاص أو تحيا بها الأشخاص..."^(٢). فهي عامل تكويني وبنائي مهم في بنية الرواية إذ انها تمثل العامل المشترك الأكبر، حيث ترتبط بالحدث مرة، وبالزمان مرة ثانية وبالمكان مرة ثالثة وهكذا نراها متصلة بكل عناصر الرواية اتصالاً مباشراً أو غير مباشر حسب متطلبات الرواية^(٣) وما الشخصية إلا مجموعة من العادات والسلوكيات يكتبها الروائي ذلك القناع لأداء الأدوار داخل العمل الروائي^(٤). الأحداث الروائية لا يمكن ان تكتمل وتخلق لولا وجود الشخصية التي تعتبر النواة الأساس في تحريك العمل الروائي والسير به قدماً. وتتسج الشخصية الروائية العمل الأدبي نسجاً متفاعلاً بين الراوي والمتلقي لذا تتخذ شكلاً دالاً عبر اللغة، إذ تعد الشخصية الروائية عنصراً أساسياً من عناصر الفن الروائي وتمثل مجموعة الأفكار التي أراد الرائي ان يوصلها إلى القارئ فيما تقوله هذه الشخصية أو تفعله أو ما تعانيه^(٥). ومما سبق فالشخصية الروائية، ذلك القناع الذي يلبسه الروائي لأداء الأدوار في عمله إذ تشكل عنصراً فعالاً في تحريك الحدث الروائي، وهي إنسان من ورق ينتجه الروائي ليحقق بواسطته هدف جمالياً ما^(٦).

المبحث الأول

المستوى الاجتماعي للشخصية

(١) ينظر: مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص: ٦٣.

(٢) بحوث في الرواية الجديدة، ميشال بوتور، ترجمة: فريد انطونيوس، سلسلة زدني علماء (٢٠٢) منشورات عويدات، ط١، بيروت، ١٩٧١: ٧٧.

(٣) ينظر: الشخصية في عالم فرمان الروائي، طلال خليفة سليمان، رسالة ماجستير، بإشراف د. عبدالاله أحمد، كلية الآداب، بغداد، ١٩٩٦: ٤.

(٤) ينظر: بناء الشخصية في مسرحيتي: "المخفر" و"ياقوت والخفاش" لأحمد بودشيشة، اعداد عمري نور الهدى، رسالة ماجستير بإشراف د. جميلة قيسمون، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري - قسنطينة - الجزائر، ٢٠١١: ٣٢.

(٥) ينظر: الموروث الثقافي في القصة الإماراتية، شيخة عبدالله الخاطري، دار الثقافة والاعلام، ط١، الشارقة، ٢٠١٠: ١١٥.

(٦) ينظر: الشخصية في رواية (الطريق إلى عدن)، لعمر الطالب، بشير إبراهيم أحمد عويد سوادي، رسالة ماجستير بإشراف أ.م.د. نيهان السعدون، كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، لسنة ٢٠١٤: ١٥.

يقوم عزام العبدالله بإبراز المستوى الاجتماعي للشخصية من حيث مركزها الاجتماعي وثقافتها وميولها والوسط الذي تتحرك فيه^(١) ليقدم لنا عزام العبدالله تفاصيل عميقة عن حياته الاجتماعية التي كان لها الأثر الواضح في تكوين معالم شخصيته بكافة جوانبها.

ويتمثل هذا المستوى في انتماء الشخصية إلى طبقة اجتماعية، وفي عمل الشخصية وفي نوع العمل ولياقته بطبقتها في الأصل وكذلك في التعليم وملابس العصر وصلتها بتكوين الشخصية ثم حياة الأسرة وفي داخلها الحياة الزوجية والمالية والفكرية في صلتها بالشخصية ويتبع ذلك الدين والجنسية^(٢). ومن هنا ننطلق في تجربة عزام العبدالله الحياتية لنتوغل في أعماقها والبحث بين حناياها بنظرة ثاقبة وصولاً لمفهوم حياته الاجتماعية بصورة دقيقة، وأول ما تقع عليه عين الباحث مستوى حياته الاجتماعية ابتداءً من طفولته فيقول:

"حينها كنت شاباً في مقتبل العمر، حين كنت أحزم حقيبتني للسفر بهدف العمل في مملكة جزر النخيل مع والدي، أخذت أُمي تتوسل إليّ بعينين مغروقتين بالدموع، كانت تقول لي أن سنين الغربية نار، أحرقت اناساً كثيرين كانت تطالني بسؤال من سبقني، وبسؤال دمع عينها أحرقتني تلك الدموع، لكنني غالبتها، وصعدت إلى السيارة مع السائق الوحيد في بلدتي متوجهاً إلى المطار وتبغني صوت أُمي: أخشى في الغربية أن تكبر، أخشى لحلمك أن يتكسر، أخشى الا تعرف طريق العودة، إلى أين أنت ذاهب؟ إلى أين"^(٣).

للمكان سلطته وسطوته على الإنسان، يسيطر عليه ويجعله أسيراً له، بائتلافه معه، وبطول الإقامة فيه حتى لا يستطيع الإنسان أن يفصل عنه أو يغادره، فإذا حدث وغادر مكان طفولته فسيفقى للمكان متعلقات في ذاكرته ويتحول من مكان جغرافي إلى مكان فكري وهنا الروائي يحاول أن يصور لنا هذا الصراع الفكري الذي تولّد عنده من دموع أُمه التي كانت تحاول تغيير مسار فكره بدمعه أو بكلمة وهو يصور لنا زاوية الحيرة بين مكوّنه والمغادرة إلى مستقبل قد يحمل له ما يحلم به مذ سنين^(٤).

"حين أقلعت الطائرة استلت مع إقلاعها روحي، فلوحت لي الشام وزودتني بحب وحنان سيلازمانني كلما اشتد الوجع عليّ.

(١) ينظر: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، شربيط أحمد شربيط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨: ٣٦.

(٢) ينظر: النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار الثقافة ودار العودة، بيروت، ١٩٧٣: ٦١٥.

(٣) رواية رائحة التفاصيل، سليمان الصدي، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٨: ١٣.

(٤) ينظر: استراتيجية المكان، مصطفى الضبع، ط١، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٨: ٦٨.

لا تحزني يا أمي لأن عشقي للشام معجزة محفورة في صفحات قلبي ترف بجناحيها كلما أعتصر
الفؤاد، لأن الشام عشيقتي التي لا يدرك اعجازها إلا من ذاق ألم البعد عنها.
صوتك الذي يقرع ذاكرتي "لا ترحل يا حبة قلبي" يجعلني أمد ذراعي عبر المسافات، وأحلق على
أجنحة شفافة تحملني إليك حيث يرقد الحب وتغفو النجوم تنير فضائي..^(١).
يصور لنا الروائي في هذا الجزء انطلاق الحدث الروائي في فضاءات روحه فيصف لنا تعلقه
بالشام وجسد هذا البلد بصورة حبيبة تلوح له بحب وحنان بلحظات الشوق والوجع، ويصور لنا أيضاً ذلك
التعلق من خلال وصف أمه بكلمات كانت تتأدى بها حيث يوقن أن بعد المسافات لم يكن عائق لاندماج
الأرواح وتعلقها فلا شيء يقطع هذا التفاعل والتأثير والتأثر الروحي بين ما يشعر به وما سيعيشه من
غربة جسد وروح ويتضح مما سبق أن للمستوى الاجتماعي أثر خاص وأبعاد خارجية وفكرية ونفسية تترك
أثرها الواضح في تكوين هذه الشخصية الاجتماعية.

"تذكرت حين جمعت أصدقائي في بيتنا التراثي القديم، كنا صغاراً لم نتجاوز الحادية عشرة،
أشعلت شموعاً ووضعناها في نافذة غرفتي الحجرية، وسترت الشموع بقطعة خيش، ثم أخذت مجموعة
صور، وشرعت بتمريرها خلف الشموع، فبدأ عرضاً سينمائياً، كان حلمي أن أكون مخرجاً سينمائياً متخرجاً
في هوليوود، ولم تكن الناس التي حولي حينها تعرف أين تكون هوليوود، فجأة دخل أبي مزق قطعة
الخيش، فهرب الأطفال خوفاً منه، أما أنا فنلت نصيبي من الضرب والرمي خارج البيت..."^(٢).

لقد استخدم الراوي هنا دلالات عدة توحى لنا من خلال هذا النص القسوة التي تتبعث من
تصرفات والده فقد عمل جاهداً على كبت أحلامه البسيطة من خلال ردة فعل تحمل العنف بين ثناياها
دون النظر إلى أبعاد هذا التصرف وما قد يترك من أثر سلبي يجعل هذه الشخصية تتجه اتجاه غير
مرغوب فيه مستقبلاً، فضلاً عن مبالغة في هدم الأحلام لطفل صغير أعظم أحلامه تقتصر في تصويره
لنفسه أن يكون مخرجاً في مستقبل هوليوود القادم من خلال وضع خطوته الأولى المنطلقة من بين
أصدقائه المقربين لقلبه ومن هنا نستطيع الإمساك بأول خيط لتكوين شخصية عزام العبدالله من خلال
القسوة الواضحة وتعنيف مبالغ فيه دون أي مبررات وتبين لنا عناصر السرد بصورة واضحة من خلال
ذكر عزام العبدالله الزمان والمكان أي البيت الذي يسكنه وتدور به الأحداث إضافة إلى الشخصيات البارزة
والحدث.

(١) رائحة التفاصيل: ٢٣-٢٤.

(٢) رائحة التفاصيل: ١٣-١٤.

- "كان سكن العمال في جزيرة النخيل الأسود بيوتاً خشبية مسبقة الصنع، وقفت أمام البيت المخصص لي ولأبي وإذا بوالدي يخرج مستقبلاً أياي، اقتربت منه، وقبلته، فقال لي:
- حمداً لله على سلامتك يا بني، كان في الغرفة سريران حديدان، ومنضدة صغيرة في وسطها، وثلاجة في الزاوية.
- هل أكلت؟
- لم استطع ان أكل في الطائرة
- أخرج بعض الطماطم المطبوخة ورغيف خبز:
- كل كل لو أكلت في الطائرة أما كان أفضل لك؟
- هل تعرف لماذا أتيت بك إلى هنا؟
- لا
- لكي أدوس على رقبتك صباحاً ومساءً
- أنت تمون

تتصرف كأبطال، وتوزع منشائر للحزب الشيوعي في سورية!؟

وصلني كل شيء عنك يا سافل.. هنا ستعمل من الصباح إلى المساء هنا يوجد مال، ولا شيء سوى المال أنه كل شيء في الحياة شعرت بغصة، فتركت الطعام، وحاولت أن آخذ قسطاً من الراحة^(١).

يتضمن هذا النص أفعال عدة فيبدأ حديثه بوصف مسكنه الذي انتقل إليه في جزيرة النخيل، ان المستوى التركيبي لهذه الأفعال يعكس لنا حركية النص الروائي من خلال الانتقال والسفر التي تحدث عنها كثيراً محاولاً إخفاء الاسم الحقيقي للبلدة التي كان يعيش فيها رغبةً منه في إخفاء هذه المعالم خلف تسميات تحمل دلالات رمزية، واصفاً لنا معيشته وما في هذا المسكن من معالم تدل على بساطة المكان بل ظنك معيشته فوصف لنا كيفية استقبال والده عند وصوله إليه، حيث تدور بينهم بعض التساؤلات التي تحمل الحوار إلى نهاية قاسية من رد فعل والده على تصرفاته التي كونت صورة سلبية نتيجة ما سمع عنه، وما وصل إليه من أفعال كان يقوم بها قبل وصوله إلى هذه البلدة، محاولاً تقبل كل ما سمع من انتقادات حول تصرفاته ليكتفي بأخذ زاوية منعزلة تجنبه تلك التساؤلات.

"كان طبعي اجتماعياً، يدينني من الناس كلهم، لم يكن يغني في شيء منشأ الشخص، وانتماؤه، كنت أريد التواصل الإنساني فقط، وهذا ما حدث معي حين دعاني حسني إلى سهرة طربية كانت فرصة

(١) راحة التفاصيل: ١٧-١٨.

سانحة لي تعرفت من خلالها إلى أشخاص كثيرين كان حسني يبتسم فكنت اجيبه: كثيرات يقلن لي يبدو ان القابلة قد سحبتك من فمك ويبدو أن هذا الطبع قد فتح لي آفاقاً لم أكن لأتوقعها مستقبلاً^(١). يفتح عزام العبدالله هذا النص بالحديث عن نفسه ويضعها في موضع الأنا مع الاستمرار في استخدام الأفعال الحركية منتقلاً بين الماضي والحاضر، وهذا دليل على اندفاعيته نحو الحركة والحرية المطلقة التي تتمتع بها هذه الشخصية من خلال انطلاقه بين الأفعال الدلالية ليعكس لنا تلك الصورة الإنسانية المليئة بالروح الاجتماعية والتواصل الفكري والذهني والمزيد من التواصل الجسدي مع المحيط الخارجي بشتى أنواع التواصل والانسجام من خلال وصف علاقته مع المجتمع ومع الأصدقاء وبالأخص حسني مراقب العمال، فكان والده يقترب منه لنيل رضاه، خوفاً من أن ينقل ما يحدث لمديره سالم، ليصل في نهاية الحوار لقول: يبدو أن هذا الطبع قد فتح لي آفاقاً لم أكن لأتوقعها مستقبلاً.

"سأعود إليك مكللاً بالغار سأظل مسكوناً بالغد الأجل سأرى صبايا بلدي، صوراً وأوراق تاريخ توحد فيها المساء، فلا موسيقى الا من سكر صوتك، ولا نور يشرق الا من نور عينيك صافية أنت كميأه نبع، سأرفع صوتي عالياً وأنا اردد شامخاً: بلدي أرض نقية طهور، لا تغرب فيها الشمس، لا يهرم فيها رجل أو تشيب امرأة، لا يأكل فيها ذئب حملاً، لا ينعق فيها غراب، لا يفترس فيها ذئب أحداً، بلدي أرض نقية طهور"^(٢).

يبدأ عزام العبدالله حديثه في هذا النص من الرواية باستخدام فعل يدل على مستقبل قادم مليء بالأمل والتفاؤل واصفاً بدقة كل ما تحمله بلده من جمال أخذ تحير النظرة الروائية في رسم تلك الأوصاف الدقيقة المليئة بالجمال والنغم الشعبي ويضيف موسيقى من الغزل الحسي مع استخدام واضح للحواس مثل (صوت، عين) وسأرفع صوتي عالياً دليل على استخدام حاسة السمع مع استخدام الأفعال المضارعة (تغرب، يهرم، يشيب، يأكل، ينعق، يفترس) كل هذه الأفعال تدل على حركة واضحة قائمة في عمق الرؤية الروائية المليئة بالروح الاجتماعية الطاغية في متن الرواية.

"صرت نورساً مهاجراً يخلو لي التنقل من سورية إلى أمريكا، ومن أمريكا إلى سورية، لم يتعب هذا النورس من الرحيل، ولم يئن له ان يحط رحاله في مكان واحد، في المدة الأخيرة ساءت حالة والدي الصحية، وكنت ملتزماً بعائلتي، واستطعت ان أجمع شمل ابنتي عندي"^(٣).

(١) رائحة التفاصيل: ٢٦.

(٢) رائحة التفاصيل: ٢٩.

(٣) رائحة التفاصيل: ٢٤٥.

يرسم عزام العبدالله في هذا النص رؤيته الفنية من خلال الإمساك بقوالب جمالية تحمل صفة الوصف من خلال تشبيه الذات الروائية بنورس مهاجر ينتقل بين بلد وآخر حاملاً معه حركية الأفعال الواردة داخل المبنى الحكائي والتي تحمل النص بمعنى آخر غير الذي يرى فيه حيث تظهر عناصر السرد واضحة من خلال ذكر الأماكن والأمنة والأحداث التي مر بها خلال رحلته المستمرة.

"ظلت علاقتنا سيئة إلى ان مرض، حين أصبح مريضاً ضعيفاً انقلبت علاقتي به انقلاباً جذرياً تحولت مشاعر الحقد في قلبي إلى مشاعر تعلق وعبادة، صرت أنظر إليه، وهو في السرير، وارفعه إلى مضان الآلهة. لم ألمس جسد والدي في حياتي كلها، اذكر أنني كنت أقبل يده في العيد من باب الاحترام، حين أصبح طريح الفراش صرت ألمس جبينه، ألمس جسده أشعر بسعادة غامرة، وأنا احضنه، لازمته في المشفى ثلاثة أشهر، كانت كفيلة ان تحول مشاعري إلى الاتجاه المضاد تماماً، كنت أشعر بمتعة وأنا أحدثه، أشعر بسعادة غامرة وأنا أحضنه وأضعه إلى صدري، لم أكن أصدق يا حبيبتي اني ألمس جسد والدي.

كان يتألم فيصرخ منادياً الممرضات، وكان يهتف بإسمي فأتيه على جناح السرعة اقضي الليلة معه وأنا سعيد"^(١).

ان النتيجة التي يمكن ان نتوصل إليها من خلال هذا النص من الرواية، أراد عزام العبدالله ان يوصف لنا ذلك التغيير السيكولوجي في شخصية والده بعد مرور سنين عمره من خلال التغيير الواضح في كيفية التعامل معه، فهذا الفارق الذي حصل وذلك التغيير أضاف شعور جديد لعزام العبدالله من خلال التأثير الروحي والانسجام العاطفي نتيجة التلاحم الفكري من خلال التقرب، ويوضح لنا عزام العبدالله كيفية تعامله المليء بالبر والعطف الممزوج بشعور اللهفة لهذه المشاعر التي تعتبر مستجدة بالنسبة لشخصية عزام العبدالله، واصفاً لنا البعد النفسي، الذي عكس على شخصيته من خلال تغير سيكولوجية الأحداث الواقعية التي طرأت عليه وعكست روحها في تغير نظرتة المعتادة التي لطالما أثارت الدهشة والتقاؤل فيه، حيث يصف لنا حالته الشعورية والتي تتمظهر أمام أعينه، من خلال تصرفات والده، حيث وردت جمل أسمية وان اختلفت صيغتها بين (الجار والمجرور، والجمل الظرفية) ومن هذه الجمل التي وردت خلال النص الروائي نتوصل، إلى أن شخصية والده لم تكن تتم عن حقد أو كره عميق وإنما هذا ما يظهره بعض الآباء شيء من الصلابة، ممزوج ببعض القسوة وقد تقل أو تكثر باختلاف الشخصيات، وبتغير نمط المعيشة بين ما يسمى ترف أو كفاف العيش، وبالرغم من طابع القسوة الذي كان واضح في تفرعات

(١) راحة التفاصيل: ٢٤٥-٢٤٦.

الرواية إلا أن هذه الشدة المستخدمة كانت تحاول الوصول لشيء أكبر بعيداً عما يتمظهر أمام أعين القارئ وهو تجنب المشكلات والابتعاد عن كل شيء يوصل الابن إلى حدود التمرد وعدم الانسياق وهذه النظرة ممكن ان ترسم لنا جانب إيجابي خفي في شخصية والد عزام العبدالله غير ما اعتدناه من رسم صورة سابقة أو حكم على تصرف مسبق له، وهذا الجانب ما ظهر لنا إلا بعد ما مرت هذه الشخصية بحالة من الضعف والوهن الذي كشف الستار عن ذلك الجانب الخفي المليء بالمفاجآت.

المبحث الثاني

المستوى السياسي والعاطفي للشخصية

المستوى السياسي

تميل شخصية عزام العبدالله للمستوى السياسي حيث ان لهذا المستوى التأثير الواضح مما أدى إلى تغير ميوله واتجاهاته الحياتية ومن ثم رسم منحني جديد كان له الوقع الكبير في تغير مسرى حياته الاجتماعية والعاطفية.

ان المستوى السياسي في الفكر الإسلامي ليس مستقلاً بذاته، بل يقوم على اندغام مع المستويات الأخرى، بما فيها الديني - العبادي^(١). ان هذا الميول في شخصية عزام العبدالله لن تأتي من فراغ وإنما أتى عن تعمق وميول داخلي بالقضية السياسية وربما تأثره بأحداث مرّ بها المجتمع وما كان يقرأ من كتب ربما تكتب الصحف وما صاحب من أصدقاء ومقربين كل هذه التفاصيل تجمعت لتكوين شخصية عزام العبدالله ذات الميول السياسي الواضح والجريء.

"حين سافرت إلى مملكة جزر النخيل كان عمري احدى وعشرين سنة، كان ذلك في الشهر العاشر عام خمسة وسبعين وتسعمئة والـف، كنت قبل ذلك المسؤول عن عائلتي المكونة من أمي واخواتي الخمسة وأخي، وللعجب الملقى على عاتقي لم أتمكن من الحصول على الثانوية العامة لكنني كنت شديد الولع بالمطالعة، كنت أقرأ للشيعيين وكتب رأس المال، وكنت شبه منظم في الحزب الشيوعي في سورية،

(١) ينظر: نظريات السلطة في الفكر السياسي الشيوعي المعاصر، علي الفياض، ط٣: على الموقع: Power theories: ٣١.

كانوا حينها يفرضون علينا أن نقرأ لكي نكون مثقفين أكثر من البعثيين، فكانت حواراتي، وسجلاتي متميزة، وحين سافرت إلى جزر النخيل كنت أتحدث كثيراً مع المدير عن منظمة التحرير الفلسطينية، كان عندي خلفية سياسية، فأدرك أنني لست عامل حفارة، مع أنه لم يكن يعرف خلفيتي الحقيقية، لكنه احترمني لثقافتي وشخصيتي وكان الباص ينقلنا كل يوم إلى مكان الحفارة، كنت أجلس بجانب والدي، أسرح بخيالي إلى حيث سورية.. إلى حيث أمي واخوتي، سورية لا أشبع من حبها الواخز.. أصابني خضراء على قلبها المشقوق، انني أعيش هنا وأنا مدهج بوطني سورية كانت تشهق يخضوراً في رثتي...^(١).

ينطلق عزام العبدالله بحوار داخلي مونولوجي من خلال حوار الذات عن طريق العودة بالزمن واستخدام واضح للفعل الماضي في التعبير عن لحظات مرت به كان لها الوقع الكبير في تكوين شخصيته من خلال تأثير تفاصيل تتراوح بين كبيرة وصغيرة لها الوقع في تكوين حجر الأساس وانبات بذرة الشعلة المتقدة في داخل روح الروائي يلتفت عزام العبدالله للوراء للحديث عن طفولته التي حمل فيها مسؤولية عائلته الذين يعتبرهم الروح النابضة فيه، حيث عانى حرمان العلم نتيجة حمله للعبء مبكراً ذاكراً حبه الشديد وتعلقه الواضح بالمطالعة، حيث تتجه شخصيته اتجاه سياسي واضح من خلال ذكره للشيوعيين والاطلاع على ما تحويه هذه الكتب إضافة إلى قراءته لكتب رأس المال وهنا نستطيع ان نلتمس ذاك التوجه الواضح في أفكاره وميوله المبكر للأحزاب والدخول في دوامة السياسة التي حملته فيما بعد لمنحى آخر كان لها الوقع الكبير والمؤثر في رسم مسار حياته والذي استطاع من خلاله ان يرى نفسه في دائرة التميز من خلال المطالعة العميقة وبروزه الواضح في حواراته السياسية مع الآخرين التي تنم عن ثقافة وسعة اطلاع، ونلاحظ أنه كان متأثراً في وضع بلاده سورية وكان يكن لها عشق واضح من خلال ذكرها لأكثر من مرة في أسطر متقاربة وهنا لا بد أن نعلم أن الروائي قد يكون استخدم اسم سورية لأكثر من دلالة وهذا ما يتضح لنا من خلال القراءة للنص الروائي حيث تعني له الأهل والحبيبة والروح النابضة بالنسبة للجسد، فيذكر أنه لا يشبع من حبها الواخز، ويرسم لنا لوحة بسيطة بوصف رمزي ليجعل من أصابعه ذلك اللون الأخضر الذي يدل على الطمأنينة والسلام من خلال المسح على قلبها المشقوق ليشير باسم الإشارة القريب (هنا) دلالة على قرب وطنه منه رغم البعد فهو مدمج بها كاندماج الروح بالجسد ليزيد الوصف في قوله: (سورية كانت تشهق يخضوراً في رثتي..). وهذه الدلالة النفسية للون الأخضر تكرر غير مرة في وصفه حيث تدل على الخصوبة الوافرة والنماء والثروة كما أنها تدل على الهدوء والسكينة حيث أن اللون الأخضر لون سلس لا يزعج الناظر إليه، بل يشعره بالراحة، كما أن هذا اللون يعكس

(١) راحة التفاصيل: ٢١-٢٢.

دلالات شخصية توضح لنا شخصية عزام العبدالله التي تمتاز بالتفاؤل والإيجابية كما نلاحظ استخدام الفعل الماضي الناقص (كان) فهو واضح في حوارات الرواية، حيث ان الأفعال الماضية لها علاقة بالحركة والتغيير والانتقال وهذا ما التمسناه في أجزاء الرواية حيث تكلم كثيراً عن وضع بلاده ووضع الحياتي الذي كان يعيشه وما طرأ عليه من تغيرات وانتقال من دولة إلى أخرى، إضافة إلى تعلقه الواضح بماضيه بكل ما فيه من إيجابيات وسلبيات تترك اليوم الوجد الصامت في روح ذات الروائي.

"وفي سكن العمال كان معتوق دائم التذمر، فقد أصبح عمر ابن سنتين ولم يتمكن من رؤيته، قال لي أننا نحتاج إلى ثورة على الظلم، فسألته ان كان منتمياً إلى أي حزب، أطرق مفكراً وقال ضحكوا علي حين كنت في الثانوية بعد ذلك تركت المدرسة وركضت وراء رغيف الخبر.. رغيف الخبر يا عزام تركتكم لأنني أردت ان أضحك عليهم كما ضحكوا علي..."

- ماذا تقصد؟ لم أفهم

هل أريحك؟ أنا أحب بلدي أكثر منهم.. أنا لا أريد شيئاً، هم الذين يريدون.. اذن أنا الأقوى.

تابعت مستهتماً، سائلاً، مستغرباً، ففاجئني بسؤاله

- هل أنت شيوعي يا عزام؟

- صعقت حين سمعت هذه الكلمة من معتوق.. ضحك مؤكداً لي أنه من أول أسبوع راني فيه

اكتشف ميولي السياسية، ونصحتني بلم رزقي كي لا تدهسني الأقدام!!!^(١).

يستمر عزام العبدالله في تصوير ما يدور معه من أحداث داخل سكن العمال ليوجه هذه المرة نظرة المتلقي باتجاه الزاوية السياسية من خلال الحوار المتبادل بينه وبين معتوق الذي غلبه الشوق لأهله وابنه الذي لم يراه فهو ينطلق من استخدام كلمة ثورة التي وردت في النص الروائي (أننا نحتاج ثورة على الظلم) ليبدأ الحوار في حديث يدور حول السياسة فقد يكون متعمداً في اختيار هذه الجملة ليصل إلى سؤال قد تراءى في ذهنه من قبل وأراد الوصول لإجابة واضحة من خلال رسم نقطة انطلاق في حديثه حول هذا الجانب الذي كان يرى ملامحه غير الواضحة مرتسمة في شخصية عزام الذي لطالما تشم في حواراته رائحة التمرد على الأحداث والواقع السياسي المعاش فمن خلال الجملة التي ذكرت جعل عزام العبدالله يندفع في طرح سؤال حول ما ينتمي من حزب وهنا أعطاه مفتاح الدخول في تساؤل قد لا يتجرأ أن يسأل مثل هذا السؤال لو لم يحدد له نقطة الانطلاق (هل أنت شيوعي يا عزام يخبرنا عزام بما شعر به في هذه الأثناء فذكر الفعل (صعقت) وهذا الفعل يدفع المرء لشعور يعكس ألوان التوتر على ملامح وجهه، مما

(١) رائحة التفاصيل: ٢٧.

يزيد علامات الاستفهام حوله (ضحك) أرى أن هذه الضحكة رسمت لتأكيد ما كان يشك فيه، تطرق الروائي كثيراً لاستخدام الأفعال الماضية الناقصة (كان معتوق دائم التذمر)، (أصبح عمر ابنه سنتين)، (كان منتمياً إلى حزب)، (كنت في الثانوية) وغيرها من ثم استخدام أفعال ماضية كثيرة خلال النص الروائي (سألته، أطرق، مفكراً، ضحكوا، تركت، ركضت، أردت) وغيرها من الأفعال التي ذكرت خلال النص وأضاف لها لمسة من حديث النفس من خلال استخدام (أنا) فضمير المتكلم ليس له دلالة أكبر من دلالة الاعتزاز بالنفس وحب الذات ليختم النص بعلامات تعجب لنصح معتوق بلم رزقه خشية أن تدهسه الأقدام، ففي هذا النص الذي طرأ علينا نلاحظ ان في هذا الوقت بدأ المحيطين بهذه الشخصية يلتسمون ذلك الميول السياسي الذي كان واضحاً في شخصية عزام العبدالله، خلال سرد الحدث الروائي مذ بدايته.

"مرت خمسة أيام وأنا محاصر، منعوني من المغادرة لأن خطراً ينتظرني والمجموعة إن غادرنا.. لماذا أخسر كل شيء في اللحظة الأخيرة؟ تمكنت بعد ذلك من الخروج، ودعت المجموعة واعدت إياهم على المضي قدماً في عملي من أجل نصر قريب بهمة الرجال. كانت هذه الأيام كفيلة بمعرفة عبد الساتر بوجودي في الجنوب، أتاه أمر بالتوجه إلى شقتي وتفتيشها، حاول مع أفراد الأمن خلع الباب، وأعطى أوامره لرجال الأمن بتفتيش الشقة وجلب كل الأوراق الموجودة.. احضروا له مجموعة من المصنفات، حين قرأها علت الدهشة وجهه:

- عزام.. وقعت أخيراً.. صحف ممنوعة.. مناشير، مذكرات لا يعقل ما يحدث معي، راودتني فكرة الهروب، صعدت إلى السيارة، فشعرت أن سيارة أمن تقف خلف سيارتي، نزل ثلاثة عناصر منها واشهروا سلاحهم في وجهي، رأيت الرائد خميس، والمقدم فاروق فأيقنت أنني وقعت حيث لا وقوف بعد ذلك.

أعطى خميس أوامره بتقيدي انقطعت عن الحياة ساقوني مقيداً إلى طائرة هليكوبتر كانت في المطار خميس، وصعد معي خميس وكلام.

- إلى أين تأخذني؟
- فسحة نعرفك فيها هذه البلاد بالطائرة.
- ماذا فعلت؟
- اخرس يا كلب؟^(١).

(١) راحة التفاصيل: ٦٠-٦١.

يعبر عزام العبدالله عن أزمة شخصية تحمله إلى الشعور بعدم الاستقرار ومزيج من الضياع، حيث يبدأ النص الروائي بذكر الأحداث التي مرت به قبل القبض عليه فلقد عانى ما عانى خمسة أيام من الحصار خوفاً من خطر قادم يستهل عزام العبدالله مقدمة هذا المقطع الروائي باستخدام ضمير المتكلم للحديث عن معاناة مع مزيج من التساؤلات وعلامات الاستفهام، حول ما يدور حوله من أحداث تصل به حد العقدة والأزمة الروائية لتأخذ الأحداث مجراً آخر مليء بالأزمات والمشكلات الحياتية، التي تتجه نحو الطابع السياسي وميوله الذي كان السبب الأول لوصوله لهذه العقدة، تبدو أن الأحداث بدأت تأخذ منحدرًا آخر شديد اللهجة، ويتضح ذلك من خلال الحوار الذي دار بين الشخصيات التي تقود هذا النص الروائي الذي يحمل عناصر الدهشة. والمفاجآت غير السارة وغير المتوقعة. كان للمستوى التركيبي وجود واضح بين أحداث الرواية من خلال استخدام الجمل بنوعها الاسمية والفعلية حيث تشير كل منها لدلالات تعكس الواقع المعاش في تلك الأحداث من خلال دلالاتها على الحركة والثبات أو انطلاقها نحو العمق في أحداث الرواية وهذه الدلالات تعكس صوراً تمثل لنا مجموعة تراكيب صورية نلتمس من خلالها الأحداث التي تدور في متن الرواية مع مزيج من علامات الاستفهام التي تحمل تساؤلات جمة تحمل النص الروائي لمنحى آخر تلحق بشخصية عزام العبدالله في غياهب السجون حيث ينتظره المجهول، نرى هذه المزاوجة بين المستويات الدلالية بات واضحاً واستخدامه ملموس فعلي يندرج على أرض الواقع المعاش فهناك خليط واضح بين مجموعة المستويات المستخدمة في متن الرواية من خلال المتن الدلالي والتركيبي ولمسة تكاد لا ترى بشكل واضح وعميق للمستوى الصوتي من خلال سرد الرواية وتقلب الأصوات المسموعة الصامتة إلى حدث ملموس مكمل للأحداث التي تدور حولها عقدة الرواية.

"في اليوم الثاني من شباط، استيقظت في السادسة صباحاً، وكنت اعد الساعات بدقائقها لكي أتأكد من وعد الشخصية القدسية لي حين صار الوقت الحادية عشرة إلا عشرة دقائق سمعت صوت ضجة في الخارج، وسمعت صوتاً يقول:

- احضروا عزام العبدالله

قلت في نفسي:

هل حانت ساعة الإعدام أو أن الله تدخل؟

اقترب عزيز المقرن ومعه ضابط ومساعد من مكتب حامد استقبلها فأخرج عزيز ظرفاً من جيبه، ونظر إلى حامد؟ بما أن العفو من جلالته يجب أن أفرج

استدعاني حامد من الزنزانة.. غدوت مرتبكاً إلى ان أتاني فرج الرب مع صوت عزيز:

- أنت حر يا عزام العبدالله...

لم استوعب ما قاله من شدة الصدمة.. أنت حر يا عزام العبدالله أجمع أشياءك وجهز نفسك

- إلى أين؟

- إلى بلدك أو أي بلد تختاره، لن تبقى عندهنا.. خذ هذا العفو معك مبروك يا عزام.

حاولت الرد لكنني لم استطع.. فقط دمعت عيناوي، خدر أصاب أجزاء جسدي... شلل أصاب

لساني، فقدت توازني، فنبهني صوت الحارس:

- ماذا جرى لك!؟

في ساحة السجن كان المساجين يعرفون أن هناك سجيناً سياسياً، فرحوا كثيراً حين علموا بعفو الملك، وشرعوا بالتصفيق، سألتهم كم الساعة، فقالوا لي انها الحادية عشرة، تأكدت حينها من رعاية الله لي ووفائه بوعدده.

وعلى الباب الرئيسي سلمت أشياءي الخاصة، وأخذوني إلى المطار بهدف تسفيري^(١).

يبدأ عزام العبدالله بذكر التاريخ والساعة تحديداً من صباح يوم يحمل له حل لتلك العقد التي سيطرت على أحداث الرواية ورسمت عقد كنسيج غير متناسق زاد من اختناق الأحداث وجعل الضيق الابهام يسيطر عليها من خلال ما مرت به من أزمات سياسية واجتماعية كان لها الأثر الكبير في دخوله بدوامه السياسة التي خرج منها حر اليدين طليق كما ولدته أمه وفي هذه الزاوية برزت لنا الشخصية القدسية التي حدثنا عنها عزام العبدالله، والتي كانت تحاط بالطابع الديني الذي رسم له طريق واضح نحو الحق والعدل، وكانت لها بصمة إيجابية في وضع حياته موضع انتظار لفرحة تضيئ مستقبله القادم، واصفاً لنا الأحداث التي احاطته تلك اللحظة وما رسمت من شعور مبهج ومنفتح نحو جميل الحياة حاملاً طاقة من التفاؤل والصمود، ويكثر لدينا المستوى التركيبي من خلال استخدام الأفعال الماضية والأفعال بصورة عامة تدل على الحركة وعدم الثبات وهذا ما نراه واضحاً من خلال الأحداث المتعددة والمتغيرة باستمرار بين لحظة وأخرى وهذه الحركة المستمرة هي التي أعطت للنص الروائي ذات التميز من خلال إضافة أحداث جديدة تعكس على روح النص الروائي تلك الروح المليئة بالأمل والدهشة والكثير من الاندفاع ونوع من المجازفة والمخاطرة فهي شخصية غريبة الأطوار تحمل من كل زاوية عطر يميزها ليرسم لها شخصية متميزة مكونة من خليط متجانس يحمل حب وصراع سياسي وعلاقات اجتماعية عميقة مكنته من فرض روحه المميزة بين كل من رآه أن شخصية عزام العبدالله شخصية سياسية قريبة من الروح

(١) راحة التفاصيل: ٩١-٩٢

البشرية بسيطة معقدة فهي تشبه ذلك المنحنى الذي يطلق عليه (السهل الممتنع) والذي له الطابع الخاص به في نسج روح الشخصية الروائية، لنصل لقول:

ان هذا الميول السياسي الواضح في شخصية عزام مذ الصغر كان له الأثر الملموس في تكوين ورسم معالم شخصيته المتمردة بين حب الحياة وتعلقه بأمه واخوته والأصدقاء ومن ثم ميوله الرومانسي نحو الجنس الآخر وبروز العاطفة بشكل مفرط في جوانب متعددة وعلى الجانب الآخر، بروز الطابع السياسي البحت وبعض التزمت في الأفكار والمعتقدات السياسية فكل ما مرَّ به من أحداث كان لها أثر واضح في تكوين تلك التركيبة الغريبة فهي شخصية استطاعت أن تشق طريقها الخاص من خلال عمل ما تحب والتمسك به رغم المخاطر الكبيرة والخطيرة التي واجهها.

المستوى العاطفي

تشتغل شخصية عزام العبدالله في رواية رائحة التفاصيل اشتغالا عاطفياً، حيث يبين لنا من خلال أحداث الرواية علاقته بالنساء وتعدد الوجوه فيها من خلال علاقاته العاطفية التي تتنوع بين علاقات حقيقية تحمل عاطفة ملتزمة وبين علاقات مؤقتة مرتبطة بسياق حياة معينة تتطلب منه التعامل مع الأنتى كونها ملاذ واقعي لا بد من الرجوع إليه.

فقد تميل شخصية عزام العبدالله بعلاقته مع النساء إلى شخصية الرجل الدونجوان، وهذه الشخصية تتمتع بميزات خاصة تكسب ميل النساء إليها.

وتختلف تمثيلات شخصية الرجل الدونجوان عن زير النساء فهو "تهم ومتعدد العلاقات في آن واحد ولا يكتفي بامرأة واحدة وهو عاشق كبير وكاره كبير للمرأة وبحوزته مفاتيح لكل امرأة يفهم بالخبرة كيف يتعامل معها وفي حديثه سحر الكلمات يمتلك مغناطيسية تسحب حتى النساء المستعصيات، فهي شغله الشاغل وتصبح أكبر هدف يصوب نحوه إذا تمنعت عنه، ولم تعترف أنه الرجل المناسب لها"^(١).

ان ما ذكرناه دليل واضح على ما تتمتع به هذه الشخصية التي تسعى دائماً لجذب الانتباه ولفت الأنظار حولها ومن خلال الأحداث والتفاصيل التي مرت خلال الرواية ونلتمس ظهور المرأة وبروزها الواضح في تفاصيل حياة عزام العبدالله بشكل كبير فهي الأثر والمؤثر من خلال ما نلتمس من أحداث وما نشاهد من تحركات انثوية داخل المتن الروائي، فقد تعددت الأوجه الانثوية في تفاصيل حياته فهي الأم والأخت والحببية التي أخذت أكثر من اتجاه فتارة أحب وعشق بصدق وأخرى اتخذها وسيلة وغاية للوصول لمبتغاه ولتحقيق طموحه التي لا حدود لها، فقد يرى البعد النفسي ان هذه الشخصيات لها مؤثرات

(١) الرجل الدونجوان: رؤى البازوكان: على الموقع: <http://www.alnoor.se/article.aspx>

خفية ترجع إلى الطفولة، وقد تسبب بها ذلك النقص العاطفي الذي يفتقده الطفل داخل جدران مسكنه ليبحث عنه فيما بعد بالمحيط الخارجي لتعويض ذلك النقص بحب امرأة فلا يجده فتتعدد صور الحب عنده إلى نساء كثيرات فيقول:

"فيا مرفئي الأخير بعد رحلة عمر مضمّنية: لقد تنقلت كثيراً في مرافئ الحياة، تألمت وفرحت، أبحرت ورسوت، تعرفت على نساء كثيرات منهن من رفعتني إلى القمة، ومنهن من أوصلتني إلى الحضيض، وصلت إلى مرحلة لم أعد أثق فيها بأية امرأة، وأصبحت لدي رغبة في القصاص منهن كشهريار بخديعة الحب، لم أعد قادراً على أن أسلم قلبي لأية امرأة.. وحين التقيتك تغيرت قواعد حياتي، فيك عرفت الصفاء والنقاء، انني سعيد لأنك مرفئي الأخير؛ لذا سأبوح لك بقصة حياتي وأنا مطمئن إلى أن طموحي للوصول إلى الشمس سيتكلل بأن تمسكي بقلبي لا بيدي لنسعى معاً إليها، الأمان أن أشعر أنك تمسكين بقلبي الذي أنهكته الحياة!"^(١).

يصف عزام العبدالله رحلته عبر الحياة التي أضنته بكثرة تموجاتها، ثم ينتقل لاستخدام المستوى التركيبي وبشكل خاص تركيب الأفعال ومنها (تألمت، فرحت، أبحرت، رسوت) وهذه الأفعال متضادة فيما بينها بين ماضي وحاضر، تنم عن شعوره المتقلب بين تموجات الحياة، فلم تكن المرأة في حياة عزام العبدالله شيء عابر وغير مهم بل تركت أثر واضح المعالم شديد التأثير مما جعلت منه شخص يميل للانتقام تارة ويتخذها مرفئاً له تارة أخرى، فوضع القيود التي تحد من الميل بعواطفه وذكر أداة النفي بجملة تشبه شيء من الوعد (لم أعد قادراً على أن أسلم قلبي لأية امرأة) إلا أن هذه القيود تفتت أمام عشق جديد يحمل الصفاء أنه مغاير لما مرّ به من قبل وبهذا تتحطم القواعد والقرارات ليميل بروحه نحو الأنثى من جديد.

"كانت سعاد شابة صافية القلب، لم يتجاوز عمرها السبعة عشر عاماً، ذكية ولبقة، كانت تطالبني أن نبقى معاً دائماً، ربما كان حبي لها حب مراهقين، أدركت بعد حصولي على شهادة الثانوية أن طموحي أكبر من الزواج، كنت أضمرها بقوة، وكانت تقول لي أحبك وما تريده سأكون معك فيه، كانت تمضي وقتاً في بيتنا لأنها صديقة أختي"^(٢).

سعاد بنت البلدة التي يميل لها عزام العبدالله كونها الأنثى التي تشبه حياته حيث يصف تلك الفتاة وما تحمل من صفات جميلة تميزها عن غيرها ليصف حبه لها بحب المراهقين، وهذا تقليل واضح من شأن التجربة والشعور الذي كان يعيشه في تلك الفترة، لم تكن سعاد الفتاة المنشودة فهو يميل لما هو أكثر

(١) راحة التفاصيل: ١٠.

(٢) راحة التفاصيل: ١٠٨.

صعوبة وبيتعد عن ما هو سهل ومتاح، وتدور أحداث السرد الروائي في هذا المتن داخل حدود البلدة ومما لاشك فيه أن هناك الكثير من الأعراف التي ترفضها المجتمعات ولا بد للمجتمع القروي أن يرفضها، ويبدو أن شخصية عزام العبدالله لا تميل لهذا النوع من النساء اللواتي يسهلن امتلاكهم. أما في حديثه عن شخصية لمياء ابنة البلدة أيضاً فيذكر ما كان يسمع منها فتقول:

"أنا لا أراك رجلاً عادياً، أنت رجال في رجل واحد، حين ألفظ أسمك أشعر ان الغابات تثبت في فمي فتمتلئ بالماء والثمر، أراك تمشي فيمشي خلفك البشر، ان سافرت وتركنتي أخذت معك زرقه السماء واخضرار الشجر، دعني أبحر في ماء حبك، ما أحلى الغرق فيه"^(١).

تبرز هنا شخصية عزام العبدالله من خلال نقل الحديث عن لسان لمياء ابنة البلدة، حيث تقوم بوصف ذلك الرجل الذي لا يشبه بقية الرجال فاجتمعت كمال الصفات فيه، فتصوره حلاً لجميع النساء، حيث تكرار ضمائر المتكلم والمخاطب غير مرة لإيصال شعورها بشكل أعمق، ومن خلال حديثه يتضح لنا أنها كانت تتمتع بلغة تميزها عن الأخريات، فهو بطبعه الذكوري الحالم بالنساء يميل لهذا النوع من الإناث التي تزيد من شعوره بقيمته وأهميته بشكل أكبر، وقد نرى بعض الملامح السريالية في تفاصيل هذا النص من الرواية فيقول عن لسانها (حين ألفظ أسمك أشعر أن الغابات تثبت في فمي...) وبهذا يوضح لنا ماهية الحوار السردي المليء بالحب والجموح بالخيال والاندفاع العاطفي.

"حين شعرت هيلين أني تزوجتها لكي احصل على الإقامة وأتمكن من البقاء على الأراضي الامريكية تقدمت بشكوى ضدي، تتهمني أني تزوجتها لهذا السبب، وطالبت بالطلاق، كانت الهجرة والجوازات تبحث عني، وذات يوم وصلتني رسالة وكنت أقوم مع روث، وكان مضمون الرسالة تهديدي بأن معي ثلاثين يوماً لكي أهني نفسي للرحيل، أو يجب ان أرد على الرسالة"^(٢).

يبدأ عزام العبدالله حديثه عن هيلين بوصف شعورها ويتكرر استخدام الأفعال الماضية مع تكرار في استخدام ضمير الغائب للدلالة على الفاعل المخفي فوردت الأفعال أكثر من مرة كما استخدم ياء المتكلم في تفاصيل هذا النص فشعور هيلين بالزيف الذي ملئ حياتها واحساسها المفرط بالآخر المخادع هو الذي جعلها تصل لحد الانتقام استرداداً لأنوثتها، فشعورها بأنها وسيلة فقط للوصول لمبتغاه لم يكن بالأمر الهين، فمهما بلغت الأنثى من مكانة وشأن مرتفع فهي بحاجة ماسة لشعور حقيقي يغنيها عن الحياة برمتها، فميلها للانتقام من عزام العبدالله لم يكن سوى رد أو شعور بالانتصار لأنوثتها التي قضى عليها من خلال تصرفاته بجعلها وسيلة لا غاية.

(١) راحة التفاصيل: ١١٠.

(٢) راحة التفاصيل: ١٣٢.

الخاتمة

١. رواية رائحة التفاصيل من الروايات التي اشتغل الراوي على قيادة دفعة العمل بكل تفاصيله وتحكمه بالجزيئات.
٢. رواية الشخصية كانت خير نموذج لهذا العمل وأكثر وفاءً للمصطلح إذ غطت كل تفاصيل الراوي الذي يقود العمل.
٣. اشتغلت الشخصية على عدة مستويات بوتيرة واحدة وكان لها أن تغطي الجانب الاجتماعي والسياسي والعاطفي بمهارة عالية.
٤. تتسج الشخصية حولها أحداث عدة لتحرك المشهد بصورة مؤثرة تعمل على جذب المتلقي من خلال الجوانب الحياتية.
٥. اختلف وعي الشخصية الاجتماعي والسياسي والعاطفي باختلاف المكان واختلاف الشخصيات التي يتعامل معها.
٦. برز المستوى العاطفي للشخصية التي قادت الرواية بشكل دونجواني واضح.
٧. مفهوم العمل الأدبي يخضع لمفهوم الفعل والحدث فالشخصية تتركب يقوم به القارئ أكثر مما هي تتركب يقوم به النص.
٨. الشخصية مجموعة عناصر مركبة مع بعضها البعض فهي تمثل القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي وعموده الفقري الذي ترتكز عليه.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١. رواية رائحة التفاصيل، سليمان الصدي، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٨م.

ثانياً: المراجع

١. استراتيجية المكان، مصطفى الضبع، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط١، ١٩٩٨.
٢. بحوث في الرواية الجديدة، ميشال بوتور، ترجمة: فريد انطونيوس، سلسلة زدني علماء (٢٠٢) منشورات عويدات، ط١، بيروت، ١٩٧١.
٣. بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٠.
٤. بنية النص السردي، د. حميد الحمداني، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩١.

٥. تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، شريط أحمد شريط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨.
٦. دراسات في النقد الأدبي، د. أحمد كمال زكي، الهيئة العربية العامة للطباعة، القاهرة، ١٩٧٢.
٧. الشخصية في ضوء التحليل النفسي، د. فيصل عباس، دار المسيرة، ط١، بيروت، ١٩٨٢.
٨. في نظرية الرواية، د. عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة (٢٤٠)، ط١، الكويت، ١٩٩٨.
٩. قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، د. سمير روجي حجازي، دار الآفاق العربية، ط١، القاهرة، ٢٠٠١م.
١٠. لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم الافريقي (ت ٧١١هـ).
١١. مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، رولان بارت، ترجمة: منذر عياش، مركز الانماء الحضاري للأعمال الكاملة (٣)، ط٢، ٢٠٠٢.
١٢. معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون، دار محمد علي للنشر، ط١، تونس، ٢٠١٠.
١٣. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، إبراهيم عياش، دار الكتاب اللبناني، ط١، الدار البيضاء، ١٩٨٥.
١٤. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس احمد بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٨.
١٥. الموروث الثقافي في القصة الإماراتية، شيخة عبدالله الخاطري، دار الثقافة والاعلام، ط١، الشارقة، ٢٠١٠.
١٦. نظريات السرد الحديثة، ولاس مارتين، ترجمة: حياة جاسم، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨.
١٧. النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار الثقافة ودار العودة، بيروت، ١٩٧٣.

ثالثاً: الدوريات

١. الشخصية في قصص علي الفهادي، د. نبهان حسون السعدون، مجلة دراسات موصلية، العدد (٣٠) لسنة ٢٠١٠م.

رابعاً: الرسائل والاطاريح الجامعية

١. بناء الشخصية في مسرحيتي "المخفر" و"ياقوت والخفاش" لأحمد بودشيشة، اعداد عماري نور الهدى، رسالة ماجستير باشراف د. جميلة قيسمون، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري - قسنطينة - الجزائر، ٢٠١١.

٢. الشخصية في رواية (الطريق إلى عدن)، لعمر الطالب، بشير إبراهيم أحمد عويد سوادي، رسالة ماجستير بإشراف أ.م.د. نبهان السعدون، كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، لسنة ٢٠١٤.
٣. الشخصية في عالم فرمان الروائي، طلال خليفة سليمان، رسالة ماجستير، بإشراف د. عبدالاله أحمد، كلية الآداب، بغداد، ١٩٩٦.

خامساً: الشبكة العنكبوتية

١. الرجل الدونجون: رؤى البازوكان: على الموقع: <http://www.alnoor.se/article.aspo>.
٢. نظريات السلطة في الفكر السياسي الشيعي المعاصر، علي الفياض، ط٣: على الموقع: Power theories.